استراتيجية الرسول ﷺ الدعوية قبل الهجرة

إعداد : د. محمد آدم عيسى هلال

مقدمة :

الحمد للّه رب العالمين الذي أبان الطريق ، وأوضح المحجة ، وأرسل ورسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علي اللّه حجة ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى اللّه عليه و علي آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين ...

أما بعد ...

إن دراسة السيرة النبوية لها أهمية كبرى في شخصية المسلم من خلالها يتعرف علي شخصية الرسول صلى اللّه عليه وسلم وأعماله وأقواله وتقريراته ، وتكسبه محبة والسير على نهجه وإتباعه منذ ولادته وحتى موته ، مروراً بطفولته ونشأته وشبابه ودعوته وجهاده وصبره وانتصاره على عدوه .

فالداعية يجد في سيرة الرسول صلى اللّه عليه وسلم أساليب الدعوة ومراحلها المختلفة التي مرت بها ويتعرف علي التخطيط الدقيق والسليم والمناسب لكل مرحلة من مراحلها ، فيستفيد منها في اتصاله بالناس ودعوتهم للإسلام ، ويستشعر الجهد العظيم الذي بذله الرسول صلى اللّه عليه وسلم من أجل إعلاء كلمة اللّه ، وكيفية التصرف أمام العوائق والعقبات والصعوبات ، وما هو الموقف الصحيح أمام الشدائد والفتن أثناء الدعوة إلى اللّه سبحانه وتعالى .

وقد تناولت في هذا البحث الآتي :

المبحث الأول : مفهوم الاستراتيجية وأهميتها

المبحث الثاني : نشأته صلى اللّه عليه وسلم قبل البعثة .

المبحث الثالث : إستراتيجيته صلى اللّه عليه وسلم بعد الرسالة

الخاتمة .

المبحث الأول : مفهوم الاستراتيجية وأهميتها :

يؤكد علماء الفكر السياسي العالمي أن كلمة الاستراتيجية ذات أصل يوناني بمعني فن القيادة أو قيادة جيوش المدينة "[١]. ويمكن تعريفها على عدة تعريفات أهمها:

١/ الاستراتيجية هي نمط استجابة المنظمة للبيئة التي تعمل فيها على مر الزمن ، والاستراتيجية تربط بين موارد المنظمة من جانب والفرص والمخاطر التي يفرضها العالم الخارجي من جانب آخر[٢].

٢/ الاستراتيجية هي تصور الرؤي المستقبلية للمنظمة ورسم سياساتها وتحديد غاياتها على المدى البعيد ، وتحديد ابعاد العلاقات المتوقعة بينها وبين بيئتها بما يسهم في بيان الفرص والمخاطر المحيطة بها ونقاط الضعف والقوة المميزة لها ، وذلك بهدف اتخاذ القرارات الاستراتيجية المؤثرة ومراجعتها وتقويمها[٣].

٣/ الاستراتيجية هي فن وعلم تشكيل المستقبل وتنفيذه وتقييم القرارات الوظيفية المتداخلة التي تمكن المنظمة من تحقيق أهدافها[٤].

٤/ الاستراتيجية هي كل الاطروحات والوسائل والأفكار المتناسقة والمتكاملة التي من شأنها تحقيق ميزة تنافسية أو قدرة تنافسية من منظور عالمي للدول التي تمكنها من تحقيق الأهداف عبر أحسن استغلال للفرص والموارد المتاحة ، وتستجيب عبرها لبيئة المنظمة والمخاطر والتهديدات المحلية والدولية ويتم عبرها تحديد رسالة المنظمة وأهدافها الاستراتيجية[٥].

أهمية الاستراتيجية :

للاستراتيجة أهمية عظمى إذ أنها تضع المنظمة في موضع المبادرة بدلاً عن موطن الاستجابة عند التخطيط لتشكيل المستقبل ، فهي بذلك تمكن المنشأة من التأثير بفاعلية أكثر نتيجة لعنصر المبادرة ، لتصبح وسيلة أساسية لتحقيق السيطرة سواء على مصالح المنظمة في البيئة أو على مصيرها ، عن طريق اتاحة فرصة أكبر للمديرين والعاملين لفهم نشاط المنظمة ، وبالتالي التزامهم.

اهم منافع الاستراتيجية تتلخص في الآتي[٦] :

١/ التعرف على الفرص والمهددات وترتيبها وفقاً للأولويات ، واستغلالها بأفضل صورة ممكنة.

٢/ النظرة الموضوعية لمشاكل الإدارة.

٣/ تقديم إطار أفضل للتنسيق بين الأنشطة والرقابة عليها.

٤/ التقليل إلى أدني حد من آثار الظروف غير الموائمة والتغيرات.

٥/ مساندة القرارات المهمة والأهداف المحددة بشكل أفضل.
٦/ إمكانية تخصيص الوقت والموارد اللازمة للفرص بصورة أكثر فاعلية.
٧/ تقليل حجم الموارد والوقت المخصصان لتصحيح القرارات الخاطئة.

المبحث الثاني : نشأته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة:

أولاً: نشأته :

ولد الرسول صلى اللّه عليه وسلم بشعب بني هاشم في يوم الاثنين التاسع من ربيع الأول عام ٥٧١م عام الفيل ، واتخذت له أمه المرضعات كما جرت العادة عند الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم ابتعاداً بهم عن أمراض الحواضر ولتقوي أجسامهم ، وتشتد أعصابهم ، ويتقنون اللسان العربي في مهدهم[٧].

وكذلك التربية في البادية تؤثر في صحة الأبدان وصفاء النفوس وذكاء العقول، قال الشيخ محمد الغزالي (وتنشئة الأولاد في البادية ليمرحوا في كنف الطبيعة ، ويستمتعوا بجوها الطلق وشعاعها المرسل ، أدي إلى تزكية الفطرة ، وإنماء الأعضاء والمشاعر وإطلاق الأفكار العواطف)[٨].

وكثير من علماء التربية يود لو تكون الطبيعة هي المعهد الأول للطفل حتى تتسق مداركه مع حقائق الكون الذي وجد فيه ، ويبدو أن هذا حلم عسير التحقيق.

تعلم صلى اللّه عليه وسلم في بادية بني سعد اللسان العربي الفصيح ، وأصبح فيما بعد أفصح الخلق ، فعندما قال له ابو بكر رضي اللّه عنه يا رسول اللّه ما رأيت أفصح منك ، فقال صلى اللّه عليه وسلم (وما يمنعني وأنا من قريش ، وأرضعت في بني سعد)[٩].

ثانياً: رعي الغنم :

عمل النبي صلى اللّه عليه وسلم في بادية بني سعد يرعي الغنم لأهل مكة وهو غلام وأخذ حقه في رعيه ، قال صلى اللّه عليه وسلم (ما بعث اللّه نبياً إلا رعي الغنم، فقال أصحابه : وأنت ، فقال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)[١٠].

إن رعي الغنم فيه فوائد كثيرة :

١/ الهدوء التي تتطلبه النفس الكريمة. ٢/ المتعة بجمال طبيعة الصحراء.
٣/ التطلع إلى مظاهر جلال اللّه في عظمة الخلق.
٤/ مناجاة الوجود في هدأة الليل وظلال القمر ونسمات الأسحار.

٥/ التربية النفسية في جانب الصبر والحلم والأناة والرأفة والرحمة والعناية بالضعيف حتى يقوي ، وذم قوي القوي حتى يستمسك للضعيف ويسير بسيره.
٦/ ارتياد شارع الخصب والري.
٧/ تجنب الهلكة ومواقع الخوف من كل ما تتيحه حياة أخرى بعيدة عن جو الصحراء وهدوئها وسياسة الحيوان الأليف الضعيف.

فكان رعي الغنم بمثابة دربة ومراناً له على سياسة الأمم. ورعي الغنم يتيح لصاحبه عدة خصال تربوية منها :

١/ الصبر : لأن رعي الغنم فيه مشقة كبيرة بدءاً من أكلها وشربها وبطئها والظروف القاسية التي يمر بها الراعي ونقص الكثير من المتطلبات التي يحتاج إليها الراعي والصبر والتحمل وطول البال ليكون في أحسن صورة وأحسن حال وكذلك تربية البشر.
٢/ التواضع : إن طبيعة رعي الغنم والإشراف عليها وعلى ولادتها وحراستها من الحيوانات يجعله لصيقاً بها وهذا يجعله باستمرار يبعد عن نفسه الكبر ويحدث في نفسه التواضع قال صلى اللّه عليه وسلم "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر". قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، قال إن اللّه جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس[١١].
٣/ الشجاعة: فطبيعة عمل الراعي الاصطدام بالوحوش المفترسة ، والأماكن الوعرة، وبعده عن أعين الناس كل ذلك بمثابة دربة له على الشجاعة ومواجهة الصعاب.
٤/ الرحمة والعطف: أثناء الرعي تتعرض البهائم للمرض أو الهزال أو الكسر أو الجوع والعطش مما يقعدها عن السير مع أخواتها فيتطلب منه الرحمة والعطف حتى تلحق بأخواتها وتزول هذه العوارض ويتم معالجتها.
٥/ حب الكسب من عرق الجبين: إن رعي الغنم نوع من أنواع الكسب الحلال قال صلى اللّه عليه وسلم: "ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن نبي اللّه داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"[١٢]. والاعتماد على النفس لكسب القوت والرزق حتي لا يكون عالة على الناس.
٦/ الصدق : أن يرعي الغنم في الأماكن التي يكثر فيها العشب ولا يتركها في أماكن الجفاف فيتجول بها إلي مناطق الخصب.
٧/ الأمانة : أن يحافظ على الغنم من الضياع والخيانة فيقوم ببيعها أو ذبحها بدون علم صاحبها.

ثالثاً : التجارة : ولما بلغ صلى اللّه عليه وسلم اثنتي عشرة سنة ، سافر مع عمه أبو طالب إلى الشام للتجارة ثم أخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يستغل فترة الشباب بالسعي لكسب الرزق ، فعرف صلى اللّه عليه وسلم عند الناس بصدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق وذاع صيته بين الناس فعرضت عليه السيدة خديجة أن يتاجر في مالها بالشام ، فقبل وسافر معه غلامها ميسرة.

وقد حصل الرسول صلى اللّه عليه وسلم في هذه الرحلة على فوائد عظيمة بالاضافة إلى الأجر الذي ناله ، إذ مر بالمدينة التي هاجر إليها من بعد وجعلها مركزاً لدعوته، وبالبلاد التي فتحها ونشر فيها دينه كما كانت رحلته سبباً لزواجه من خديجة[١٣].

والاشتغال بالتجارة له فوائد عظيمة :-

١/ الأمانة والصدق وهي صفات التاجر الناجح ، كلاهما تجسدتا في شخصية الرسول صلى اللّه عليه وسلم.

٢/ إن التجارة مورد من موارد الرزق التي سخرها اللّه لرسوله صلى اللّه عليه وسلم قبل البعثة وتدرب على فنونها وقد بين النبي صلى اللّه عليه وسلم أن التاجر الصدوق الأمين في هذا الدين يحشر مع الصديقين والشهداء والنبيين وهذه المهنة مهنة المسلمين ، ولا يقع صاحبها تحت إرادة الآخرين واستعبادهم وقهرهم وإذلالهم فهو ليس بحاجة إليهم بل هم في حاجة إليه وبحاجة إلى خبرته وأمانته وعفته.

زواجه صلى اللّه عليه وسلم من السيدة خديجة :

١/ لقد اختار اللّه تعالى لنبيه زوجة تناسبه وتؤازره وتخفف عنه ما يصيبه.

٢/ إعانته على حمل تكاليف الرسالة وتنفيس همومه.

٣/ عدم اهتمام النبي صلى اللّه عليه وسلم بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها ، وإنما رغب النبي صلى اللّه علي وسلم بها لشرفها ومكانتها في قومها ، فقد كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة.

٤/ وفي زواج النبي صلى اللّه عليه وسلم من السيدة خديجة رد على أقلام المرجفين والحاقدين الذين صوروا النبي صلى اللّه عليه وسلم في صورة الرجل الشهواني الغارق في ذاته وشهواته.

أما زواجه صلى اللّه عليه وسلم من السيدة عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين فإن لكل منهن قصة ، ولكل زواج حكمة ، وسبب يزيد من إيمان المسلم بعظمة الرسول صلى اللّه عليه وسلم ورفعة شأنه وكمال أخلاقه.

وأيا كانت الحكمة والسبب فإنه لا يمكن أن يكون مجرد قضاء الوطر واستجابة للرغبة الجنسية[١٤].

بناء الكعبة :

قبل بعثته صلى اللّه عليه وسلم بخمس سنين جرف مكة سيل عرم انحدر إلى البيت الحرام ، فأوشكت الكعبة منه على الانهيار فأضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها ، واتفقوا على ألا يدخلوا في بنائها إلا طيباً ، فلا يدخلون فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس[١٥] ، وعندما تم هدم الكعبة ، وأرادوا الأخذ في البناء فجزأوا الكعبة وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها ، ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه ، ولما اشتد الخلاف عرض عليهم أبا امية ابن المغيرة المخزومي أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه ، وشاء أن يكون ذلك رسول اللّه فلما رأوه هتفوا ، هذا الأمين رضيناه :

طلب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم رداء فوضع الحجر وسطه وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء ، وأمرهم أن يرفعوه ، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده فوضعه في مكانه ، وهذا حل حصيف رضي به القوم وهذا يدل على :

١/ مدى حكمة النبي صلى اللّه عليه وسلم في تدبير الأمور وسياسة القضايا ، وقطع دابر الخصومات قبل أن تراق فيما بينهم الدماء.

٢/ عبقريته صلى اللّه عليه وسلم التي جبل عليها والذكاء الذي فطر عليه.

٣/ سمو منزلته بين رجال قريش على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم فقد كان ملقباً عندهم بالأمين ، وكان محبوباً منهم كلهم ، وكانوا لا يرتابون في صدقه إذا حدث ، وفي كريم أخلاقه إذا عومل ، وفي عظيم إخلاصه إذا ما أستعين به واعتمد عليه[١٦].

٤/ مقدرته صلى اللّه عيه وسلم الهائلة على حل المشكلات بأقرب طريق وأسهله وذلك ما تراه في حياته كلها صلى اللّه عليه وسلم ، وذلك معلم من معالم رسالته ، فرسالته أيصال للحقائق بأقرب طريق وحل المشكلات بأسهل أسلوب وأكمله[١٧].

وقبيل النبوة حبب إلى نفس النبي صلى اللّه عليه وسلم الخلوة ليتفرغ قلبه وعقله ورحوه إلى ما سيلقي إليه من إعلام النبوة فاتخذ من غار حراء متعبداً ، لينقطع عن مشاغل الحياة ومخالطة الخلق استجماعاً لقواه الفكرية ومشاعره

الروحية وإحساساته النفسية ومداركه العقلية تفرغاً لمناجاة مبدع الكون وخالق الوجود.

كانت هذه الخلوة التي حببت إلي نفس النبي صلى اللّه عليه وسلم لوناً من الإعداد الخاص لمحاسبة النفس وتصفيتها من ضجيج الدنيا ومظاهر الكبر والعجب والحسد والرياء وحب الدنيا التي تتحكم في النفس وتتغلغل إلى أعماق القلب فتعمل على هدم الأعمال الصالحة والعبادات المبرورة ، وتعهده الخاص بالتربية الإلهية والتأديب الرباني في جميع أحواله بالتفكير في بديع ملكوت السموات والنظر في آياته الكونية الدالة على بديع صنعه وعظيم قدرته ومحكم تدبيره وعظيم إبداعه[١٨] ، والإكثار من ذكر اللّه سبحانه وتعالى بالقلب واللسان لتتساقط تلك الآفات التي تلحق بالنفس ويحيا القلب بنور العرفان والصفاء ، فلا يبقي لفكر الدنيا من سبيل إلي تكدير مرآته.

وقد أخذ بعض أهل السلوك إلى اللّه من ذلك فكرة الخلوة مع الذكر والعبادة في مرحلة من مراحل السلوك لتنوير قلبه وإزالة ظلمته وإخراجه من غفلته وشهوته وهفوته ، ومن سنن النبي صلى اللّه عليه وسلم سنة الاعتكاف في رمضان[١٩] ، وهي مهمة لكل مسلم سواء كان حاكماً أو عالماً أو قائداً أو تاجراً ، لتنقية الشوائب التي تعلق بالنفوس والقلوب وتصحيح واقعنا على ضوء الكتاب والسنة ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب.

المبحث الثالث : استراتيجيته صلى الله عليه وسلم بعد الرسالة :

١/ السرية في الدعوة ابتدأ النبي صلى اللّه عليه وسلم يستجيب لأمر اللّه فأخذ يدعو إلى عبادة اللّه وحده ونبذ الأصنام ، ولكنه كان يدعو إلى ذلك سراً حذراً من وقع المفاجأة على قريش التي كانت متعصبة لشركها ووثنيتها حتى عن أقرب الناس ، وأن لا يلقي بها إلا من يغلب على ظنه سيصيخ لها ويؤمن بها ، فكان يتصل بمن يثق ويطمئن إليهم في كتمان خبره في دعوته وحركته واتصاله.

وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة ، وكان صلى اللّه عليه وسلم يكون في بعض المسلمين أسراً وكانت هذه الأسر تختفي اختفاء استعداداً وتدريباً ، لا اختفاء جبن وهروب ، حسبما تقتضيه التدبيرات.

إن المنهج الذي سار عليه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في تربية أتباعه ، هو القرآن الكريم ، وكان يربي أصحابه تربية شاملة في العقائد والعبادات ، والأخلاق والحس الأمني ، وغيرها.

لقد قام النبي ﷺ بترتيب جهاز أمني رفيع من صحابته يشرف على الاتصال المنظم الرفيع بين القيادة والقواعد ، ليضمن تحقيق مبدأ السرية ، فكان صلى اللّه عليه وسلم يهتم بالتخطيط الدقيق وكان يشرف بنفسه على تربية أصحابه في شتى الجوانب ، ويحسب لكل خطوة حسابها حتى تمكن صلى اللّه عليه وسلم من توسيع الدعوة ووصولها إلى دولة.

دار الأرقم بن أبي الأرقم :

كانت دار الأرقم مدرسة من أعظم مدارس الدنيا ، وجامعات العالم التقي فيها الرسول المربي بالصفوة المختارة من الرعيل الأول (السابقين الأولين) ، فكان ذلك اللقاء الدائم تدريباً عملياً لجنود المدرسة على مفهوم الجندية والسمع والطاعة ، والقيادة وأدائها وأصولها ، ويشحذ فيه القائد الأعلى جنده واتباعه بالثقة باللّه والعزيمة والإصرار ، ويأخذهم بالتزكية والتهذيب ، والتربية والتعليم ، فكان هذا اللقاء المنظم يشحذ العزائم ويقوي الهمم ، ويدفع إلى البذل والتضحية والإيثار[٢٠].

وكان اختيار دار الأرقم لعدة أسباب منها :

١/ إن الأرقم لم يكن معروفاً بإسلامه ، فما كان يخطر ببال أحد أن يتم لقاء الرسول صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه بداره.

٢/ إن الأرقم بن أبي الأرقم من مخزوم ، وقبيلة بني مخزوم التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم ، فلو كان الأرقم معروفاً بإسلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره لأن هذا يعني أن يتم في قلب صفوف العدو.

٣/ إن الأرقم بن أبي الأرقم كان فتي عند اسلامه ، فلقد كان في حدود السادسة عشر من عمره ، ويوم تفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي ، فلن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد صلى اللّه عليه وسلم بل يتجه نظرها وبحثها إلى بيوت كبار الصحابة أو بيته هو نفسه عليه السلام[٢١].

المرحلة الجهرية :

لما نزلت الآية "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" سورة الشعراء ، الآية ٢١٤ ، دعا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عشيرته بني هاشم وقال: "الحمد للّه أحمده وأستعينه وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له". ثم قال: "إن الرائد لا يكذب أهله ، واللّه الذي لا إله إلا هو ، إني رسول اللّه إليكم

خاصة وإلى الناس عامة ، واللّه لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تسيقظون ، ولتحاسبن بما تعلمون ، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً"[٢٢].

١/ إن المسئولية تتعلق بكل مسلم عموماً وأصحاب الدعوة "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته"[٢٣] ، فمسئولية المسلم عن أهله ومن يلوذون به من ذوى قرباه وتوجيهاً إلى القيام بحق هذه المسئوولية خصص اللّه الأهل والأقارب بضرورة الإنذار والتبليغ بعد أن أمر بعموم التبليغ والجهر به وهذه الدرجة من المسئوولية يشترك في ضرورة تحمل أعبائها كل مسلم صاحب أسرة أو قربى ، وليس من اختلاف بين دعوة الرسول في قومه ودعوة المسلم في أسرته بين أقاربه.

٢/ مسئولية العالم عن حيه أو بلدته ، ومسئولية الحاكم عن دولته وقومه ، وكل منهما ينوبان في ذلك مناب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذ هما الوارثان الشرعيان له لقوله عليه الصلاة والسلام "العلماء ورثة الأنبياء".

٣/ نهى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قومه أن يأسروا أنفسهم للتقاليد الموروثة عن آبائهم وأجدادهم دون تفكر منهم في مدى صلاحها أو فسادها ، ودعاهم إلى تحرير عقولهم من الأسر والاتباع الأعمي وعصبية التقاليد التي لا تقوم على شيء من أساس الفكر والمنطق.

٤/ دعوة الأقارب فيه نصرة وعون له وأشد تصديقاً لحديثه ووقوفاً معه في الشدائد والأمن مهما كان الخلاف وحمايته من الأعتداء والتعرض عليه بالإيذاء "فامض إلى ما أمرت به ، فواللّه لا أزال أحوطك وأمنعك ، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب"[٢٤].

٥/ اتخذ الدعوة في قريش خطوة أولى لتحقيق رسالته العالمية.

صعود على جبل الصفا:

صعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم جبل الصفا وهتف يا صياحاه ثم جعل ينادي بطون قريش ، يا بني فهر ، يا بني عدي ، يا بني عبد مناف ، يا بني عبد المطلب ، يا بني فلان ، فلما اجتمعوا إليه ، أريت لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا ما جربنا عليك كذباً. قال : فاني نذيركم بين يدي عذاب شديد ...).

١/ كانت هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ "يا صباحاه" فلم يتخذ الرسول صلى اللّه غيرها حتى لا يدخل في نفوسهم الإعراض وعدم القبول والنفور منه.

٢/ لقد أوضح الرسول صلى اللّه عليه وسلم لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلات بينه وبينهم ، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند اللّه.

٣/ وضع النبي صلى اللّه عليه وسلم للأمة أسس الإعلام ، فقد اختار مكاناً عالياً وتجلى بأحسن ثيابه ، ونبذ عادات الجاهلية الشرك ونادي جميع الناس ولم يترك أحداً.

٤/ اختياره صلى اللّه عليه وسلم لدعوته الأساس المتين ليبني عليه كلامه وهو الصدق "ما جربنا عليك كذباً" فهو مكمن الثقة بين المرسل والمستقبل ، أو بين مصدر الرسالة والجمهور المتلقي.

٥/ صدق المضمون والمحتوى وأخذه في مصادره الأصيلة "إني نذير لكم من بين يدي عذاب شديد".

الهجرة إلى الحبشة :

لما اشتد البلاء على أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، ورمضاء مكة ، فلما رأى رسول اللّه ما يصيب أصحابه من البلاء قال لهم "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل اللّه لكم فرجاً مما أنتم فيه" فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى اللّه بدينهم ، فكانت أول هجرة في الإسلام[٢٥].

اختياره صلى اللّه عليه وسلم للحبشة :

نزلت الآية " ... لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ" سورة الزمر ، الآية ١٠.

١/ كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عالم أن النجاشي ملك الحبشة ملك عادل لا يظلم عنده أحد فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فراراً بدينهم من الفتن[٢٦].

٢/ ثناؤه صلى اللّه عليه على ملك الحبشة بقوله "وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم أحد بأرضه" وكان يثني عليه مع ذلك صلاح[٢٧]. ويظهر هذا الصلاح في حمايته للمسلمين ، وتأثره بالقرآن عندما سمعه من جعفر رضي اللّه عنه وكان معتقده في عيسي صحيحاً.

٣/ كانت أرض الحبشة متجراً لقريش ، يتجرون فيها يجدون فيها رفاغاً من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً[٢٨].

٤/ الحبشة كانت أكثر أمناً من جميع البلاد الأخرى لبعدها عن سطوة قريش وعدم إدانتها لها بالاتباع كغيرها.

٥/ محبة الرسول صلى اللّه عليه وسلم للحبشة ومعرفته بها من خلال حاضنته أم أيمن الحبشية ، وكان صلى اللّه عليه وسلم خبيراً بطبائع وأحوال الدول التي في زمانه.

دعوة الإسلام خارج مكة

رحلة الرسول صلى اللّه عليه وسلم للطائف :

اختار الرسول صلى اللّه عليه وسلم الطائف للأسباب الآتية:

١- كانت الطائف تمثل العمق الاستراتيجي لملأ قريش ، بل كانت لقريش أطماع في الطائف ، ولقد حاولت في الماضي أن تضم الطائف إليها.

٢- غنى المنطقة من الشجر والزرع حتى خافتهم ثقيف وحالفتهم وأدخلت معهم بني دوس.

٣- كثير من أغنياء مكة يملكون الأملاك في الطائف ، ويقضون فيها فصل الصيف.

٤- كانت قبيلة بني هاشم وعبد شمس على اتصال مستمر مع الطائف ، كما كانت تربط مخزوم مصالح مالية مشتركة بثقيف.

٥- توجه إلى الطائف ليجد فيها موضع قدم وعصبة تناصره ، فإن ذلك سيفزع قريشاً، ويهدد أمنها ، ومصالحها الاقتصادية تهديداً مباشراً ، بل قد يؤدي لتطويقها وعزلها عن الخارج.

٦/ حرصه صلى اللّه عليه وسلم الأخذ بالأسباب لايجاد دولة مسلمة أو قوة جديدة تطرح نفسها داخل حلبة الصراع.

٧/ عند وصوله صلى اللّه عليه وسلم إلى الطائف اتجه مباشرة إلى مركز السلطة وموضع القرار السياسي في الطائف[٢٩].

الطواف علي القبائل :

بعد رجوعه صلى اللّه عليه وسلم من الطائف ، بدأ يعرض نفسه على القبائل في المواسم ، يشرح لهم الإسلام ، ويطلب منهم الإيواء أو النصرة ، حتى يبلغ كلام اللّه عز وجل ، وكان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يتحرك في المواسم التجارية ومواسم الحج التي تجتمع فيها القبائل وفق خطة سياسية

دعوية واضحة المعالم ومحددة الأهداف وكان يصاحبه أبو بكر الصديق ، الرجل الذي اختص في معرفة أنساب العرب وتاريخها ، وكانا يقصدان "غرر الناس ووجوه القبائل وكان أبو بكر رضي اللّه عنه يسأل وجوه القبائل ويقول لهم : كيف العدد فيكم ؟ وكيف المنعة فيكم ؟ وكيف الحرب فيكم ؟ وذلك قبل أن يتحدث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ويعرض دعوته"[٣٠].

ومن أساليب الرسول صلى اللّه عليه وسلم أثناء الطواف على القبائل :

١/ مقابلة القبائل في الليل حتى لا يحول بينه وبينهم أحد المشركين ، وقد نجح هذا العمل في إبطال مفعول الدعاية المضادة ، التي كانت تتبعها قريش ، كلما اتصل الرسول صلى اللّه عليه وسلم بقبيلة من القبائل.

٢/ ذهاب الرسول صلى اللّه عليه وسلم إلى القبائل في منازلهم ، وبذلك يحاول أن يبتعد عن مطاردة قريش ، فيستطيع أن يتفاوض مع القبائل بالطريقة المناسبة ، دونما تشويش أو تشويه من قريش .

٣/ أصطحاب الأعوان ، فكان أبو بكر وعلى يرافقان الرسول صلى اللّه عليه وسلم في بعض مفاوضاته مع بعض القبائل ، حتى لا يظن المدعوون أنه وحيد ، ولا أعوان له من أشراف قومه واقاربه هذا إلى جانب معرفة أبي بكر رضي اللّه عنه بأنساب العرب ، الأمر الذي يساعد الرسول صلى اللّه عليه وسلم في التعرف على معادن القبائل ، فيقع الاختيار على أفضلها ، لتحمل تبعات الدعوة.

٤/ التأكد من حماية القبيلة ، وذلك عن طريق سؤاله صلى اللّه عليه وسلم عن المنعة والقوة لدى القبائل ، قبل أن يوجه إليهم الدعوة ويطلب منهم الحماية ، فقوة ومنعة القبيلة التي تحمي الدعوة شيء ضروري ، ومهم ولابد منه ، لأن هذه القبيلة ستواجه كل قوي الشر والباطل ، فلابد أن تكون أهلاً لهذا العمل ، من حيث الاستعداد المعنوي والمادي ، الذي يرهب الأعداء ويحمي الدعوة ويتحمل تبعات نشرها ، مزيلاً لكل العقبات التي تقف في طريقها.

٥/ أن تسير الدعوة الإسلامية في سبيل لا تدع أي شك للمتأمل في طبيعتها ومصدرها ، حتى يسهل الإيمان بها ، ولا يقع أي التباس بينها وبين غيرها من الدعوات الأخرى.

٦/ أن يكون أنصاره الأُول من غير بيئته وقومه ، حتى لا يظن ظان بأن دعوة الرسول صلى اللّه عليه وسلم كانت في حقيقتها دعوة قومية حاكتها رغبات قومية وظروف بيئته.

٧/ إن مهمة الدعوة ليست وقفاً على الرسل والأنبياء وحدهم ، ولا خلفائهم وورثتهم العلماء الذين يأتون من بعدهم ، إنما الدعوة الإسلامية جزء لا يتجزأ من حقيقة الإسلام نفسه ، فلا مناص ولا مفر لكل مسلم من القيام بعبئها مهما كان شأنه أو عمله أو اختصاصه ، إذ حقيقة الدعوة إنما هي "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو جماع معني الجهاد كله في الإسلام"[٣١].

بيعتا العقبة الأولى والثانية :

روي عبادة بن الصامت فقال: كنا أثني عشر رجلاً ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم :"تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا باللّه شيئاً ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف فمن وفي منكم فأجره على اللّه ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره اللّه فأمره إلى اللّه إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه ، قال عبادة بن الصامت : فبايعناه على ذلك"[٣٢].

فلما أرادوا الانصراف بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ، فكان يسمي مقرئ المدينة.

لقد نجحت سفارة مصعب بن عمير رضي اللّه عنه في شرح تعاليم الدين الجديد وتعليم القرآن الكريم وتفسيره وتقوية الروابط الأخوية بين أفراد القبائل المؤمنة من ناحية وبين النبي صلى اللّه عليه وسلم وصحبه بمكة المكرمة لايجاد القاعدة الأمنية لانطلاق الدعوة. وتجاوزوا قصة الصراعات القبيلية القائمة وبذل كل ما يملكون من جهد لتعبئة الطاقات الإسلامية لنشر الإسلام.

في بيعة العقبة الثانية ، بايعوا الرسول صلى اللّه عليه وسلم على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في اللّه ، لا تخافون في اللّه لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا أقدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأرواحكم وأبناءكم ولكم الجنة.

١/ كانت هذه البيعة من أقوي العهود والمواثيق التي تعاهدوا من أجل بذل الأرواح والدماء والأموال في سبيل إعلاء كلمة اللّه وتبليغ رسالة الإسلام.

٢/ تمثل هذه البيعة تحدياً خطيراً وجريئاً لقوى الشرك ، ولذلك كان التخطيط النبوي لنجاحها في غاية الإحكام والدقة فسرية الحركة والانتقال ، حتى لا

ينكشف الأمر ، والخروج المنظم لجماعة المبايعين واختيارهم الوقت والزمن المناسب للخروج لمبايعة الرسول صلى اللّه عليه وسلم.

٣/ ممارسة الشورى عملياً عن طريق اختيار نقبائهم الذين يتولون أمر قيادتهم.

٤/ الدفاع عن الإسلام ، والتعامل مع أعداء هذا الدين ليس متروكاً لاجتهاد أتباعه ، وإنما هو خضوع لأوامر اللّه تعالى وتشريعاته الحكيمة ، فإذا شرع الجهاد ، فإن أمر الإقدام أو الإحجام متروك لنظر المجتهدين بعد التشاور ، ودراسة الأمر من جميع جوانبه.

هذه النماذج التي قامت عليها دولة الإسلام ، النماذج التي تعطي ولا تأخذ ، والتي تقدم كل شيء ، ولا تطلب شيئاً إلا الجنة ــ ويتصاغر التاريخ في جميع عصوره ، ودهوره أن يحوي في صفحاته أمثال هؤلاء الرجال.

التمهيد والإعداد للهجرة للمدينة :

لما اجتمعت قريش بدار الندوة واستقر أمرهم على قتل الرسول صلى اللّه عليه وسلم نزل جبريل عليه السلام على رسول اللّه صلى اللّه اللّه عليه وسلم يأمره بالهجرة ، ونهاه أن ينام في مضجعه تلك الليلة.

قالت عائشة فيما أخرجه البخاري "فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في حرِ الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم متقنعاً ، في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر : فداك أبي وأمي. واللّه ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر قالت : فجاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فاستأذن ، فأذن له فدخل، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم لأبي بكر : اخرج من عندك ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت أمي يا رسول اللّه قال: فإني قد أذن لي في الخروج ، فقال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول اللّه إحدى راحلتي ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: بالثمن". قالت عائشة : فجهزناهما أحدث الجهاز ، وصفنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به علي فم الجراب ، فبذلك سميت بذات النطاقين[٣٣].

وانطلق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه فأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، إذ لم يكن أحد من أهل مكة له شيء يخشي عليه إلا استودعه عند رسول اللّه لما يعلمون من صدقه وأمانته.

ونلاحظ الآتي عندما شرع صلى اللّه عليه وسلم في الهجرة :

١/ التنظيم الدقيق والإعداد التام لمجابهة كل الصعاب والعقبات التي تقف أمامهم أثناء الهجرة فاتبع الآتي :

أ- أخفاء شخصيته صلى اللّه عليه وسلم أثناء مجيئه للصديق ، وخروجه متقنعاً حتى لا يتعرف عليه أحد من الناس.

ب- خروجه صلى اللّه عليه وسلم في نحر الظهيرة ، الوقت الذي لايخرج فيه أحد حتى لا يراه أحد.

ج- أمر صلى اللّه عليه وسلم أبا بكر أن يخرج من عنده ، ولما تكلم لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

د- خروجه صلى اللّه عليه وسلم ليلاً ، ومن باب خلفي في بيت أبي بكر.

هـ- اتخذ صلى اللّه عليه وسلم طرقاً غير مألوفة للقوم ، والاستعانة بخبير يعرف مسالك البادية ، ومسارب الصحراء.

و- جواز الاستعانة بالمشرك إذا كان على خلق ورزانة وذو خبرة.

ز- انتقاء شخصيات عاقلة لتقوم بالمعاونة في شئون الهجرة الذين تربطهم برباط القرابة ، أو برباط العمل الواحد مما يجعل من هؤلاء الأفراد وحدة متعاونة على تحقيق الهدف الكبير.

ح- قسم المهام بين أفراد الأسرة فوضع كل فرد في محله المناسب الذي يجيد القيام به على أحسن وجه ، ليكون أقدر على أدائه والنهوض بتبعاته ، فأمر علياً رضي اللّه عنه أن ينام في فراشه ليخدع القوم ويسلم الودائع ويلحق بالرسول عبد اللّه بن أبى بكر أن يأتيهم بالأخبار وكشف تحركات العدو ، وأسماء بحمل الطعام إليهم في الغار، وعامر بن فهيرة برعي الغنم ليقدم لهم اللحم واللبن ويطمس أثر المارين بالغار.

بهذا التدبير للأمور على نحو رائع دقيق ، واحتياط للظروف بأسلوب حكيم. فأصبحت مدرسة لكل خبراء الاستراتيجية يقتدون بها لتحقيق أهدافهم وتنفيذ طموحاتهم.

الهوامش

١. عثمان عيد صالح العثمان ، الاستراتيجية العليا والتكتيك ودورها في إدارة الصراع الدولي ، دمشق ، مؤسسة سندباد للطباعة والفنون ، ط١، ٢٠٠١م ، ص ٤١.
٢. عمر أحمد عثمان ، مبادئ الإدارة ، الخرطوم ، مطبعة العملة ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ص ٢٣٩.
٣. عبد الحميد عبد الفتاح المغربي ، الإدارة الاستراتيجية لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين ، القاهرة ، مجموعة النيل العربية ، ط ١٩٩٩م ، ص ٣٣.
٤. نادية العارف ، الإدارة الإستراتيجية ، الإسكندرية ، الدار الجامعية ، ط ٢ ، ٢٠٠٣م ، ص ٦.
٥. محمد حسين أبو صالح ، إدارة العمل الدعوى ، مطبعة الخرطوم ، ٢٠٠٥م ، ص ٤٩.
٦. نادية العارف ، الإدارة الاستراتيجية ، مرجع سابق ، ص ٣١ – ٣٦.
٧. صفي الرحمن المبارك كفوري ، الرحيق المختوم ، دار الوفاء ، ط ٧ ، ٢٠٠٥م ، ص ١٢.
٨. د. علي محمد علي الصلالي ، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، جمعية العون المباشر لمسلمي أفريقيا ، ط ٢٠٠٥م ، ص ٤٩.
٩. السهيلي ، الروض الأنف ، ١/ ٨٨.
١٠. البخاري ، كتاب الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريط ، رق ٢٢٦٢.
١١. صحيح الإمام مسلم ، رقم ١٤٧، ص ٩١.
١٢. البخاري كتاب البيوع ، رقم ٢٠٧٢.
١٣. علي محمد علي الصلالي ، السيرة النبوية ، مرجع سابق ، ص ٥٨.
١٤. محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة النبوية ، دار السلام ، مصر ، ط١٩ ، ٢٠٠٨م ، ص ٥٤.
١٥. صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ، دار الوفاء ، ط ٧ ، ٢٠٠٥م ، ص ٦٧.
١٦. البوطي ، رفعة السنة ، ص ٥٩.
١٧. الأساس في السنة وفقهها ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص ١٧٥.
١٨. محمد رسول اللّه ، محمد الصادق عرجون ، ط١ ، ص ٢٥٤.
١٩. الأساس في السنة النبوية وفقهها ، السيرة النبوية ، سعيد حوبي ، ط١ ، ص ١٩٥.
٢٠. دولة الرسول من التكوين إلى التمكين ، كامل سلامة ، ص ٢١٩.
٢١. الفقيان ، المنهاج الحركي ، ص ٤٩.
٢٢. صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ، مرجع سابق ، ص ٨٣.
٢٣. الحديث.
٢٤. الرحيق المختوم ، ص ٨٦.
٢٥. المغازي النبوية للزهري ، تحقيق سهيل زكار ، ص ٩٦.
٢٦. السنن الكبرى للبيهقي ن ج٩ ، ص ٩.
٢٧. تاريخ الأمم والملوك ، للطبري ط ٢ ، ص ٣٢١ ، (يثني عليه: أي يشيع عنه).
٢٨. مغازي رسول اللّه لعروة بن الزبير ، ص ١٠٤.
٢٩. أصول الفكر السياسي في القرآن المكي ، ص ١٧٤.

٣٠. الأنساب للسمعاني ، ط١ ، ص ٣٦.
٣١. فقه السيرة ، محمد رمضان البوطي ، مرجع سابق ، ص ١٢١.
٣٢. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب وفود الأنصار وبيعة العقبة ، ومسلم في كتاب الحدود.
٣٣. سيرة بن هشام ، ج١ ، ص ١٥٥ ، وطبقات ابن سعد ، ص ٢١٢.